ساعة بين ديوانين

بقلم قدري مايو

لعل أي اديب من الادباء العرب ، او ناقد من النقاد ، في هذه الايام ، خاسر السباق مع المطبعة العربية . فزحمة الكتب تشبه زحمة الاحداث التي يعيشها الوطن العربي الكبير . ولو كان في وسع الانسان ان يوقف الشمس لكان مدركا من الاطلاع مايريد، ولكن « لو » هذه لاتنفع، فانا مثلا تراني اترك القلم مدة طويلة لاغرق في بحور شتى من الجهد احدها القراءة . وقلما اكتب دون ان يشدني الموضوع اليه شدا فلا اقوى السكوت به عما يريد بي . صحيح ، ان الشاعر يقول : « قد عرفناك باختيارك .. » غير ان عجلة الزمن تحرم الانسان اليوم حتى من وقفة الحيرة التي يتمخض عنها الاختيار .

بالامس حبستني العاصفة في غرفتي في الجزيرة الصغيرة بالخليج العربي وتطلعت عيني الى رف الكتب فاذا بكتاب ليلي السواد نجومه مربعات حمر وصفر وبيض ، مغلف وكأنه علبة سكاكر او شوكالا ، فجذبني اليه جذب الازهار الزاهية للنحلة الساعية او الفراشة الكسول . كان ديوان : « حبيبتي » لنزار قباني.ولم تمض ساعة حتى كنت أتلمظ روحيا بسكاكر نزار التي عرضها احسن عرض . وحانت مني التفاتة فاذا بلسان طويل من اللهب ، احمر بلون الدم ينجلي عن عربي كالمارد العملاق يحمل بندقيته وحربته وتحته رمال الصحراء العربية ، تلك الرمال التي لاترتوي الا بدماء النضال . لقد كان : ديوانا من الشعر لسليمان العيسى سماه « رمال عطشى » .

يا للعجب ! كم يدل المظهر على المخبر ؟ أنا لم أتحدث حتى الآن سوى عن غلافين لديوانين من الشعر ، ومع ذلك فانني أشعر وكأنني قد افرغت ما عندي من تقييم لشاعرين كبيرين في أدبنا المعاصر .

كل ما عند نزار عينان تمطران فيروزا وهما بلون التبغ والعسل ، وأنهار من المتعة يسعى بينها مغترفا غير هياب ولا وجل . ولماذا يهاب وهو الطائر الفريد يمرح في حقل كبير اسمه الحياة ؟ ! .. قصائده أقاصيص محب يلين ويرق بقدر ما يشتد ويقسو على العواشق الكثر . فهو عابد ومعبود في هيكل المرأة الغامض وهو الرجل الخشن في لين ، واللين في خشونة ، يداري المرأة وتداريه ليبقى كائن واحد يعيش في دفء التنهدات والدموع او في حرارة القبل ، هذا الكائن المدلل على قلب الشاعر وفتانه اسمه الحب . صور ملونة توحي بترانيم البيان في قاعة واسعة تضيئها شموع قليلة فتمنح الجو هيئة السماء سماء الرحمة في معارجها ومطاويها . الليلك والفارديتيا يفرشان كل مكان ونجوم ساطعة الضياء تتصاعد تصاعد الفقاعات في كأس يغور . الاحرف لا تكاد تستقر على الورق امام عينيك فهي أرشق من أن تهبط بها معانيها الى الارض وهي كالاحابيل الملونة المكرورة ليلة مهرجان .

وتتركني
يا صديق حياتي
لرائحة التبغ والذكريات
وابقى أنا ..
في صقيع انفرادي
وزادي أنا .. كل زادي
حطام السجائر ..
وصحن ..
يضم رمادا ..
يضم رمادي ..

هذه هي قصة الخليلة التي ذابت فيه فهي رماد من الذكريات والوجه الآخر للورقة أن يذوب هو :

لا تسأليني هل أحبهما
عينيك ..
اني منهما لهما ...
. . . . . .
أبلحظة تبسمين .. سيدتي
تاريخي المرسوم
فوقهما ..
. . . . . .
الآن ..
أدرك .. حيث لا قمر
ماذا أنا ؟
ماذا ؟
بدونهما ..

واذا كنت من المغرمين بالموسيقى فسوف تسبح مع الاسطوانة في وجهها في الآفاق التي تنقلك اليها . ولعل مجتمع قصة الحب العابث قصيدة « أيظن » المشهورة التي تتراوح بين قولها :

أنا لا أفكر في الرجوع اليه ـ و
ورجعت ! .. ما أحلى الرجوع اليه ..

أما جمال التعبير فانا لا استطيع ان أجري وراءه فهو متدفق خلاب تتولد صوره وتتجدد بأسرع ما تتولد الجراثيم في اللبن مع الاحتفاظ بالفارق طبعا . والشاعر في ديوان حبيبتي بل في شتى دواوينه انسان او بالاحرى رجل يعيش تجاربه مع باقة معشوقات هن جنيات خياله والهامه بلا شك ولست أدري اذا كن من بنات الحقيقة . وللشاعر علي أن أغفر له كل شيء ما دام صداحا مطربا . وهو يعيش بلا مسؤولية حتى في قصيدته جميلة بو حيرد والحب والبترول فالاولى أبرد بكثير من نار الثورة العربية في صدر الفتاة الجزائرية المجاهدة ، والاخيرة على واقعيتها ـ صورة مما تعود نزار أن يسمعه من خليلة غاضبة . وكل ما في الامر انه وجه النقمة الى من يستحقها في المبائل التي لا تثمر شعرا ولا شعيرا . في قصيدة « الى أجيرة » وربما « حبلى » يصور نزار المبائل ذاتها التي قد يقع فيها غول من أصحاب الكروش الضخمة يعثر الذهب وهو يتجشأ . والقصيدتان ـ كما هو معروف ـ غير مثبتتين في الديوان الاخير « حبيبتي » لكن الفنان متى عرف نفسه وانطلق لم يحمل بين جنبيه غير روح واحدة مصبوغة بلون واحد اسمه الاصالة . على ان هذا الاستبداد بالمرأة عند الشاعر وحي يوحى وليس عرضا يشتري ويباع كما عند أصحاب الكروش وجمال الصحراء المشوهة بالجدري .

يقول بيكاسو « اذا أراد الرسام أن يكون ثوريا فليس من الضروري أن يقدم لنا رجلا يحمل رشاشا وانما يكفي أن يرسم تفاحة على شكل ما » معنى هذا الحكم الفني اذا قبلناه في عالم الادب والشعر خاصة ان ديوان سليمان العيسى « رمال عطشى » الذي عنونه رسم ذلك الرجل الشاكي السلاح ، هذا الديوان ينقض على غرضه بصورة مباشرة بشكل لا يرضى عنه الفن الحديث وان رضي عن المضمون فيه . وبالرغم من جمال المخمل الملون والضباب الغامض في الشعر الحديث أجدني لا

استسيغ هذا الاسلوب الحالم في شعر النضال . ولعل كثيرين طلبوا من سليمان العيسى ان يكون شاعر الكأس والوتر وان يسيخ في النشوة والعطور فابى ما دام في أمته صاحب حق مغتصب قد جند لاسترداده النار والدخان والحديد . وقول الفصل هنا القصيدة التي تعرفنا بسليمان العيسى الملتهب حماسة في سبيل كرامة الوطن العربي الكبير في أصقاعه الممتدة . تحت عنوان « يقولون » كتب سليمان يهدر هدير البركان في وجه الطغاة الآكلين الحق داخل الوطن وخارجه :

يقولون لي .. وأغاني الحياة ... رعود بشبابتي تهزم ! ..
يقولون لي : أنت للحالمين ... هل الشعر الا هوى يحلم ؟ !
وأنشودة في ربوع الجمال ... يتيه بها وتر ملهم !
وقلب يحن .. وثغر يغني ... وشكوى تناقلها الانجم
وقيثارة عند شط الغدير ... تغني .. لينتشي البرعم !
فقلت : بلى ! أنا للحالمين ... اذا كان حولي من يحلم

الشاعر اذن كما هو واضح صاحب رسالة آلى على نفسه أن يؤديها وهو بفضل ألف مرة ان يقرع طبول المعركة التي تبعث الموتى من القبور على أن يهمس بموسيقى حالمة تبقي على النائمين في نومهم بينما تلغ في دمهم أشره الحشرات وأضراها في محبة الدم .

يقولون : غن الهوى والشباب .. ... وما كنت يا وطني أجرم
تشردت طفلا .. ولن أرتضي ... مصيري لطفلي غدا يقسم

التجربة ، اذن صادقة ، ومرارتها أقسى بكثير من حلاوة الورد ، وأقوى من ضباب النسيان . نعم لقد يعيش نزار القباني ساعة تأثر لشقاء أشقائه في الوطن العربي المبذور بالشوك والجراح ، ولكنه لا ينزل الى الساح ويكتفي بأن يلقي بعبارة أسف دبلوماسية من مكمنه الذي لا يطوله غير الجن أو الملائكة . والرأي الفصل بين الشاعرين أن الفنان الذي يعرف نفسه ثم يجلوها للعيون بفنه هو الفنان الاصيل الذي يستحق الاحترام او بكلمة أدق « الاعتبار » . وكلا الشاعرين قد عرف نفسه وشق طريقة برفرفة الجناح أو بقصف الحديد والنار .

نزار ينبش القطن الابيض الجميل الذي عنده ليصنع منه أشكالا تشبه الاشكال المبتكرة التي يرسمها أصحاب المحلات الكبرى على واجهات محلاتهم الزجاجية في « كرنفال » عيد الميلاد وراس السنة . وسليمان يكدس ما عنده في رزم قوية ويبعثها الى الجزائر والى عمان لتشد بها جراح المناضلين العرب الاحرار .. ومن الصعب علي جدا ان احكم بين الجمال والمسؤولية ايهما أعلى قدرا في نفسي فهل لك ايها القارىء ؟ !..

فيلكا

قدري مايو

دار الآداب تقدم

عاصفة على السكر

بقلم

جان بول سارتر

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

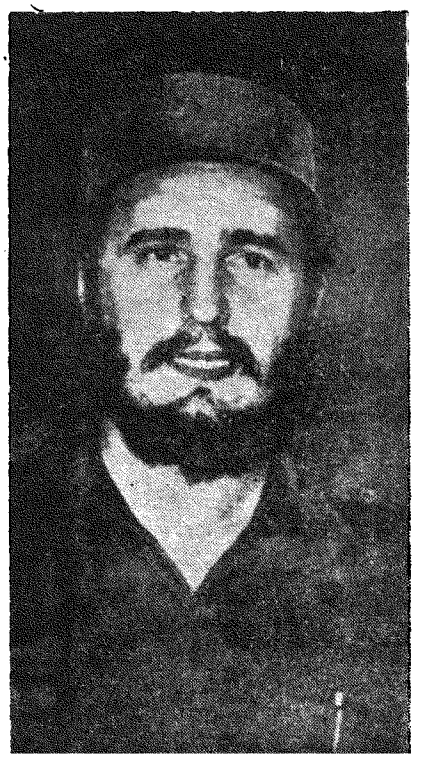

كتاب رائع يتحدث فيه الكاتب الفرنسي الكبير عن الثورة الكوبية التي قادها فيديل كاسترو ، ويفضح خطط الاستعمار الاميركي لخنق اقتصاديات كوبا ،ويصف مختلف الاوضاع السياسية والاجتماعية التي ادت الى نشوب هذه الثورة التي تعتبر من اروع الثورات في تاريخ الشعوب .

كل ذلك باسلوب تحليلي طريف وعميق امتاز به جان بول سارتر ، وروح تحررية تجعل هذا الكاتب العالمي في طليعة المفكرين الاحرار الذين عرفهم تاريخ الفكر والسياسة.

صدر حديثا

الثمن ثلاث ليرات لبنانية